« يكون لكم فيّ سلام »
(١٦: ١-٣٣)

تأليف: بروس مكلارتي

في الاسبوع قبل ان القي موعظة من هذا النص أصيب الحي الذي أعيش فيه بواقعتين رهيبتين. كانت الأولى موت صبي بلغ الخامسة عشرة من العمر، وكان يلعب كرة البايسبول. وقد القى ضربة جيدة خلال الجولة الأولى من المبارة وأحرز لفريقه النقطة الأولى. وبينما كان راكضاً باتجاه زملاءه في الفريق سقط ميتاً. بدى في لحظة ما كمن كان في صحة جيدة، وفجاءة نراه ميتاً. كانت الواقعة الثانية في ذلك الاسبوع، هي مقتل امرأة مسيحية بلغت من العمر الخامسة والثلاثين، وضُرب ابنتها التي بلغت الحادية عشر حتى اوشكت ان تموت. لقد سقطت اثنتين من أوهام حياتنا البديهية خلال أيام قليلة فقط - نوهم انفسنا بان الشباب الذين هم في صحة جيدة لا يموتوا، وان مجتمعنا لا تقع فيها جرائم عُنف. لا حاجة إلى القول بان أحداث ذلك الاسبوع قد تركتنا مرتبكين ومنذهلين. ومن العجب ان «الارتباك» و«الذهول» هما أيضاً أفضل كلمتين لوصف الحالة العقلية للتلاميذ في الأصحاح السادس عشر من إنجيل يوحنا. ولهذا كان النص المناسب جداً لذلك الاسبوع العسير.

الإعداد لالقاء الوعظة هو دائماً مثل الليلة التي فيها صارع يعقوب مع الله (أنظر تكوين ٣٢: ٢٢-٣٢). لقد صارع يعقوب وحده على ضفة نهر يبوق مع أفكاره، وذكرياته، ومخاوفه، ومع رسولاً من الله حتى طلوع الفجر. وعندما بدأت الشمس تشرق في اليوم التالي، أمر الذي كان يصارع مع يعقوب ان يتركه يعقوب ليمضي عنه. ولكن يعقوب رفض، بل وأصر قائلاً « لا أطلقك إن لم تباركني » (تكوين ٣٢: ٢٦). هكذا يكون القاء الوعظ عادة: يصارع المبشرون جداً مع النصوص الصعبة وقد يبدو احياناً بانهم لم يحرزوا أي تقدم. ولكن الصراع لا يثبط عزيمتهم، بل يحثنا لأن « نتمسك » بالنص حتى يباركنا أخيراً.

هذا ما اختبرته في الأصحاح السادس عشر من إنجيل يوحنا. بدى وكانه يقاوم كل محاولة أقوم بها على مر الاسبوع لألخص الرسالة التي به. توجد في هذا الأصحاح الكثيرة من الأحداث والأقاويل. ثم في صباح يوم ما بينما كنت في الطريق إلى العمل لاحظت ان الصفات التي ثبطت عزمي في هذا النص هي الاشياء نفسها التي تعطي هذا النص قوته وتجعله مناسباً لما نواجه اليوم. ليس من السهل تبسيطها و تنظيمها وترتيبها، ولكن هذه هي الحياة! الرسالة العاجلة في الأصحاح السادس عشر من إنجيل يوحنا ربما هي الانسب لنا اليوم.

قبل ان نتطلع على رسالة هذا الأصحاح يجب ان نتذكر أين توجد في الإنجيل. بعد اثني عشر أصحاح من الخدمة العامة، نجد الاصحاحات من ١٣ إلى ١٧ مليئة بأحاديث ودية بين يسوع وتلاميذه الاثني عشر. اهتم بهم جداً بينما كان موته يقترب. ونتيجة لذلك خصصت التعاليم التي وردت في هذه الأصحاحات الأربعة بصفة كبيرة لإعداد التلاميذ لمغادرته

عنهم. عند بداية نص درسنا هذا، أي الأصحاح ١٦، نجد ان يسوع كان قد غسل أرجل تلاميذه، وخرج يهوذا ليخون يسوع، وقال لهم يسوع بانه «ذاهب عنهم»، وكان قد أنذرهم عن الاضطهاد الذي سيأتي.

«اتبعوا الروح القدس» (١٦: ٥–١٥)

بينما كان يسوع يستمر في الاستعداد للمغادرة بدأ يقول لتلاميذه بانه خير لهم ان يذهب عنهم (١٦: ٧). قال لهم بانه إذا ذهب عنهم حينئذ يأتى «المعزي».[1] هذا المعزي أي الروح القدس سيستمر بالعمل الذي بدأه يسوع. فقال يسوع:

> إن لي أمور كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية. ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم (١٦: ١٢–١٤).

الحديث عن الروح القدس اليوم يكون عادة مثير للارتباك والانقسام. بينما لا يقول هذا النص كل ما يمكن ان يقال عن الروح القدس، إلا انه يصف عمل الروح القدس، وهي: أن يرشد أتباع يسوع إلى جميع الحق. بالنسبة للمسيحيين اليوم، يجب تقييم جميع الحق على ضوء ما أظهره الروح للرسل عندما أرشدهم «إلى جميع الحق». يجب ان نتذكر ان هدف الروح القدس ليس لجذب الانتباه إليه، بل ليمجد الابن. يجب أن يتفق كل تعليم عن الروح القدس مع هاتين الحقيقتين.

«لا تتوقعوا علاقة جسدية» (١٦: ١٦–٢٢)

قال يسوع عبارات كثيرة نفهمها بسهولة اليوم، ولكن اربكت تلاميذه حقاً في الوقت الذي أدلى بها. هكذا الأمر في إنجيل يوحنا ١٦: ١٦–٢٢. أخبرهم يسوع ايضاً بانهم لن يرونه في الأيام المقبلة، ولكن «بعد قليل» سيرونه أيضاً (١٦: ١٦ و١٧). إن موت المسيح ودفنه وقيامته هي مواضيع يتحدث عنها المسيحيون باستمرار والأحداث التي يذكرونها ويحتفلون بها كل يوم أحد عندما يتناولون العشاء الرباني. ولكن لم يكن بالامكان التفكير بهذا قبل عملية الصلب. كان التلاميذ يرون هذا وكأن يسوع يكلمهم بألغاز مستحيلة.

استمر يسوع يعد التلاميذ لذهابه عنهم، لأنه كان يعلم انه مهما ارتبك التلاميذ في تلك الليلة، فانهم سيكونون أكثر ارتباكاً في اليوم التالي عندما يُصلب. لهذا استمر يخبرهم بما كان وشيك الحدوث. قال لهم بانهم سينوحون بينما يفرح العالم؛ ولكنه قال بانه بعد وقت قليل سينوح العالم بينما يفرح التلاميذ (١٦: ٢٠–٢٢). قد نرى ان هذا ما حدث في موت يسوع ودفنه وقيامته، ولكن لم يستطع التلاميذ حينذاك فهم تلك الحقيقة الهامة.

«صلوا باسمي» (١٦: ٢٣–٢٨)

استمر يسوع يعزي ويعد التلاميذ بانهم سيكونون أحسن حالة عندما يصعد إلى الآب: «وفي ذلك اليوم لا تسألونني شيئاً. الحق الحق أقول لكم إن كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم. إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي. اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً» (١٦: ٢٣ و٢٤). مع انهم لم يفهموا كيف يكون ذلك صحيحاً إلا ان يسوع أكد لهم بانه عندما يرجع إلى السماء ستُعطى للعالم قوة روحية لا تُوصف. دمه الذي كان سيُسفك من أجل خطايا العالم والروح القدس الذي كان سيأتي ويحل محله هما القوتان اللتان تباركا العالم بطرق لا يمكن

---

[1] الكلمة اليونانية هنا هي «پاراكليوتوس παρακλητος» والتي تعني «معين» أو «معزي» أو «مدافع» أو «مؤيد» أو «محامي». وتشير هنا إلى الروح القدس الذي سُكب في يوم الخمسين على الرسل (أعمال ٢) بعد قيامة يسوع من الموت وصعوده إلى السماء.

تخيلها! كان يسوع قد كلمهم بلغة المجاز لأن ذلك ما كانوا مستعدين له في ذلك الوقت. ولكنهم يفهمون «بوضوح» ما كان يعنيه (١٦: ٢٥). أكد لهم بانهم إذا طلبوا باسمه فستستجاب صلواتهم (١٦: ٢٦-٢٨).

«أمنوا بيَ» (١٦: ٢٩-٣٢)

كانت استجابة التلاميذ لكلام يسوع المعزي هي ان يعترفوا بالإيمان به. فقالوا له: *«الآن نعلم أنك عالم بكل شيء ولست تحتاج أن يسألك أحد. لهذا نؤمن أنك من الله خرجت»* (١٦: ٣٠). ندرك مرة أخرى أهمية كلمة «إيمان» في إنجيل يوحنا. الإيمان بيسوع انه ابن الله هو هدف هذا الإنجيل (٢٠: ٣٠ و٣١). يجب ان نتذكر بان يوحنا استخدم كلمة «إيمان» بشتى الطرق. في بعض الآيات تعني ان يقبل الشخص الادعاء بانه حقيقة. وفي آيات أخرى قد تعني قبول الشخص ليسوع انه ابن الله. وأحياناً تعني اعتراف الشخص بإيمانه بيسوع «علناً»، بينما تعنى أحياناً أخرى «الثبات» في التعهد لإتباع يسوع. في إنجيل يوحنا ١٦: ٣٠ كان التلاميذ يقولون بانهم قبلوا ادعاءات يسوع على انها حقيقة؛ لقد آمنوا بانه جاء من عند الله.

تحدى يسوع تصريح إيمانهم هذا، لأنه كان يعلم بانهم لم يكونوا مستعدين بعد للتضحية من أجل ما يؤمنون به (١٦: ٣٢). قال لهم بانهم جميعاً سيتركونه وحده. في هذه المرحلة نرى يسوع ينظر خارج أحداث إنجيل يوحنا ويتحدانا في ادعاءاتنا باننا نؤمن به اليوم. هل نحن مؤمنين حقاً؟ نقول باننا واثقين انه ابن الله، ولكن هل نؤيده عالمين ان القيام بذلك قد يعني لنا الآلام؟ ان إنجيل يوحنا ليس مجرد قصة إيمان التلاميذ؛ بل هو قصة إيماننا نحن أيضاً.

«اقبلوا سلامي» (١٦: ٣٣)

إذا تم تلخيص تعاليم يسوع الواردة في الأصحاح السادس عشر من إنجيل يوحنا بفكرة رئيسية واحدة، قد تكون تلك هي ما ورد في الآية ٣٣. كل الإنذارات وكل التنبوءات وكل الوعود كانت بهدف اعطاء التلاميذ السلام في اللحظة الأكثر اضطراباً في حياتهم! لم يعد يسوع تلاميذه أبداً بان حياتهم ستخلو من الاضطراب، ولكنه وعدهم بسلام الله حتى في وسط الاضطراب: «قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فيّ سلام. في العالم سيكون لكم ضيق. ولكن ثقوا. أنا قد غلبتُ العالم» (١٦: ٣٣). وُضع التشديد هنا على الكلمة «أنا». كانت الساعات الأربعة والعشرون التالية ستجعل التلاميذ يظنون بعدة طرق ان العالم قد فاز وان الشر قد انتصر. أعدهم يسوع لهذا إذ أكد لهم بكل ثقة بانه قد غلب العالم. انه ذات أهمية ان نرى ان العبارة «قد غلبتُ» هي في صيغة الفعل التام هنا كما في اللغة الأصلية أيضاً، أي اللغة اليونانية. انه قال بما في مضمونه «لقد غلبتُ العالم والنتيجة مبينة الآن!» بما ان الصلب لا يحدث بعد بالمعنى الحرفي حتى اليوم التالي، إلا ان يسوع عبر عن ثقته للتلاميذ بان الكل يسير حسب الخطة، وبانهم سيتباركون بالأحداث التي كانت ستقع بعد وقت قصير.

الخلاصة

مع ان ظروفنا قد تبدو في أول وهلة بعيدة جداً عن ظروف التلاميذ الذين سمعوا أولاً الكلمات المعزية في هذا الأصحاح، فهل يكون عالمنا مختلف حقاً؟ نحن مثل التلاميذ عندما نواجه مشكلة لا نتوقعها، ونُجْرَب لكي نفقد الثقة في الله، ندعي باننا نؤمن إلا لنجد أنفسنا ننكر إيماننا المرتبك ، ونتوق إلى السلام برغبة شديدة ونحن نعيش في عالم مضطرب. أراد يسوع للتلاميذ أن يستعدوا للكفاح الذي كان سيواجهونه قريباً. طبعاً بكل تأكيد يعمل كلامه في حياتنا لتحقيق الهدف نفسه إذ يعدنا لكل ما نواجهه غداً. القاعدة التي أدلى بها يسوع في الأصحاح السادس عشر من إنجيل يوحنا للمحافظة على سلام الله في الأوقات الصعبة هي: «اتوقعوا اضطرابات وكونوا مستعدين».

سقطت طائرة حربية أمريكية في يونيو سنة ١٩٩٥م. وكان يقودها الطيار سكوت

فرانسيس أوغرادي عندما كان في مهمة خاصة فوق البوسنا. ولكنه استطاع أن يهبط بمظلته بأمان، وكان يعلم جيدا بان الذين أسقطوه سيبحثون عنه ليأخذوه أسيراً. لذا فقد وضع كل خبرته في التدريب المكثف على النجاة موضع التنفيذ، استطاع أوغرادي ان يتخفي لمدة ستة أيام قبل ان يتم انقاذه من قبل قوات البحرية الأمريكية. استطاع ان يبقى على قيد الحياة بشرب مياه الأمطار المتجمعة وأكل الحشرات. وعندما أُجري معه لقاء صحفي عن تجربته، قال بان ما أنقذ حياته هو التدريب على البقاء الذي تلقاه. كان السلاح الجوي قد علمه ان يتوقع الازمات، فكان مستعداً لها عندما حلت.

لا يريد يسوع لتلاميذه اليوم ان يقلقوا بخصوص ما قد يواجهون من مصاعب في الحياة (متى ٦: ٢٥-٣٤)، ولكنه يريد لنا ان نعلم بان الاضطراب جزء من حياة التلميذ. عندما نعرف هذا يمكن ان نستعد لكي لا نهلك روحياً عندما يأتي اضطراب.

يقترح هذا الأصحاح على انه يجب ان نسمع ما لا نعتقد باننا نحتاج إلى سماعه وقتئذ. يشكي الناس أحياناً بسبب درس من الكتاب المقدس أو موعظة ويقولون « ليس لهذا علاقة بحالتي الآن ». ولكن الحقيقة هي اننا نحتاج إلى الاستماع إلى دروس عن « الحالة التي لسنا فيها الآن ». أي نحتاج إلى الاستماع إلى ما ستكون عليه حالتنا، لكي نستعد لظروف قد نواجهها في المستقبل. لم يتمتع التلاميذ أبداً بما قاله يسوع في الأصحاح السادس عشر، ولكن كان يسوع يعلم بانهم يحتاجون إلى سماعه. هكذا أيضاً نحتاج إلى الاستماع إلى الرسالة الكاملة للأسفار المقدسة. ومن ثم، كما قال بولس نكون مستعدين استعداداً كاملاً لكل ما يعبر سبيلنا (٢ تيموثاوس ٣: ١٤-١٧).

لديّ ابنتين الواحدة في الثسني عشر من عمرها والأخرى في الرابع عشر من عمرها. وأنا كوالد أرى الوقت يمر بسرعة جداً هذه الأيام. اظن احياناً بان كل منهما ستتزوج بعد سنوات قليلة وتغادر البيت. وأتسائل اذا ستكونان مستعدتان عندما ياتي الوقت؟ او اذا كان لهما إيمان ثابت في يسوع يرشدهما خلال الأزمات التي قد تواجههما؟ لست أدري ما يخبئه المستقبل لكل منهما، وأنا كوالد أفكر في ما إذا كنت قد أعدتهما لما سيقابلانه.

يبدو يسوع في نص درسنا هذا كالوالد المهتم الذي هو على وشك السماح لأولاده بالخروج إلى العالم. قال بانه سيرسل « معزي/ معين » ليكون مع أتباعه، لقد أعطى لنا هذه الحقيقة لتكون كالمرساة لحياتنا، حتى كما يتبع النهار الليل هكذا أيضاً يتبع الفرح أحزاننا، وبان أبانا الذي يحبنا يسمع صلواتنا ويريد لنا الأفضل، وبان يسوع قد غلب العالم. ما الذي نحتاج إلى سماعه أكثر من هذا؟ مهما يأتي به الغد إلى حياتنا، ان كان اضطراب أم هدوء، يكون لنا سلام. لقد أعد يسوع لنا مستقبلاً!

رونق هذا الأصحاح معكوس في إحدى أجمل الترانيم الإنجليزية المسيحية التي كتبت على الاطلاق:

سلام سلام تام في عالم الخطيئة المظلم هذا:
دم يسوع يهمس من الداخل.
سلام، سلام تام بكامل المسؤولية
للقيام بمشيئة يسوع - هذه راحة.
سلام، سلام كامل بالأحزان تحيطنا:
في حضن يسوع لا يوجد شيء غير السكون.
سلام، سلام كامل، والأحباء بعيدين:
في رعاية يسوع نحن في أمان وهم كذلك.
سلام، سلام كامل ومستقبلنا مبهم كله:
نعرف يسوع وهو المالك على العرش.
كفى هذا ستنتهي مصاعب الأرض قريباً.
كتبه إدوارد هـ. بيكرستيث.

عندما يأتي الاضطهاد

***أعمال* ٧: ٥٩ و ٦٠**

« الحياة المسيحية
الحقيقية تتطلب
عادة اقناع عميق
و الشجاعة كثيرة. »